تفسير سورةُ الأنْبياءِ

من آية (81) إلى آية (86)

اللقاء الثامن

قال تعالى:(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء:9].

اشتمل كتاب الله على كُلِّ هدى، فأنار القلوب، وأبان السبيل، وانجلت به كل الظلمات؛ ففيه المواعظ والعِبَر والفِكَر، التي لا يحصيها إلا مُنزل الكتاب –سبحانه–، وإن مما أخذ من كتاب الله نصيباً وافراً ذلكم الضرب من ضروب الموعظة المودَع في أسلوب القصص الذي نجده في كتاب الله كثيراً، لأنه لا يُمل ولا يُسأم ولو رُدّدَ وكُرّر، بل لا يتم الغرض منه إلا بترديده وتكراره، وإطالة النظر فيه، واستنباط الفوائد منه، قال تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود:120].

المعنى الإجمالي من آية (76) إلى آية (80):

يقولُ اللهُ تعالى: واذكُرْ –يا محمَّدُ– نوحًا حين نادى ربَّه مِن قَبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ أن يَنصُرَه اللهُ على قَومِه، فاستجَبْنا له دُعاءَه، فنجَّيناه وأهلَه المؤمنينَ به مِن الغَمِّ الشَّديدِ، ونَصَرْناه مِن القَومِ الذين كذَّبوا بآياتِنا الدَّالَّةِ على صِدقِه، إنَّهم كانوا قومًا يُسيئُونَ بالشِّركِ، وتَكذيبِ الرَّسولِ، فأغرَقْناهم بالطُّوفانِ أجمعينَ.

يقولُ الله تعالى: واذكُرْ –يا مُحمَّدُ– نبيَّ اللهِ داودَ وابنَه سُلَيمانَ، إذ يَحكُمانِ في شأنِ زَرعٍ عَدَت عليه غَنَمُ قومٍ آخرينَ، وانتَشَرَت فيه ليلًا فأتلَفَتْه، وكنَّا لحُكمِهم شاهِدينَ لا يخفَى علينا شيءٌ، فَفَهَّمْنا سُليمانَ تلك القضيَّةَ، وكُلًّا مِن داودَ وسليمانَ أعطَينا نُبُوَّةً وعِلمًا، وذلَّلْنا مع داودَ الجِبالَ والطَّيرَ يُسَبِّحنَ معه إذا سبَّحَ، وكُنَّا فاعلينَ ذلك. وعلَّمنا داودَ صِناعةَ الدُّروعِ؛ لتحميَ المحارِبينَ مِن وَقْعِ السِّلاحِ فيهم، فهل أنتم شاكِرونَ نِعمةَ الله عليكم حيثُ أجراها على يَدِ عَبدِه داودَ؟

ذكر الله –تعالى– في القرآن الكريم قصصاً كثيرة لأنبيائه مع ما لاقوه من المصاعب والتحدّيات في طريق دعوتهم؛ لتثبيت قلب النبي –ﷺ– ولتثبيته على طريق الحقّ، فالمتاعب التي يُلاقيها قد لاقاها مَن سَبَقَه من الأنبياء والمرسلين، فتناولت السورة قصة موسى وهارون في البداية وكلنا نعلم ما لاقاهما من بني إسرائيل، ولَبِث سيدنا إبراهيم في قومه يدعوهم لعبادة الله –تعالى– وحده، وقام بتكسير أصنامهم، والصبر على تكذيبهم وإعراضهم، وأمره الله –تعالى– بالخروج من وطنه؛ فخرج، ثم بشّره بإبنه إسماعيل،

ومن بعده بإسحاق –عليه السلام–، وكذلك لَبِث سيدنا نوح –عليه السلام– مدةً طويلة لدعوة قومه، ولم يؤمن منهم إلَّا القليل، فما كان منه إلَّا الثبات وتنفيذ أمر الله –تعالى– ببناء الفُلك، ثم انتقل الحديث عن عناية الله بخلقه ورسله فذكر قصة نبيه داود وسليمان عليهما السلام، وبيان قدرته في تسخير الكون لعباده الطائعين،فألآن لداود عليه السلام الحديد، وأنطق الجبال والطيور، وما سنذكره اليوم عن سليمان عليه السلام، وكل هذا حتى يطمئن فؤاد النبي –ﷺ– ولا يجزع بسبب تكذيب المشركين له واستهزائهم بالرسالة وبيان أن ما يجب على الرسول هو البلاغ فحسب، ثم يتولى الله حساب الخلائق على قبولهم للدعوة من عدمه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾﴿81﴾

✉مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:قال الرازي: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُبحانَه النِّعَمَ التي خَصَّ داودَ عليه السَّلامُ بها، ذَكَرَ بعدَه النِّعَمَ التي خَصَّ بها سُلَيمانَ عليه السَّلامُ.

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) أي: وسَخَّرْنا لسُلَيمانَ الرِّيحَ، والحالُ أنَّها شديدةُ الهُبوبِ. موسوعة التفسير

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) [سبأ: 12].

كان سليمان عليه السلام محبًّا للخيل من أجل الجهاد بها في سبيل الله، وكان معه الخيول الصَّافنات؛ وهي الخيول القوية السريعة، وكانت ذا أجنحة ويزيد عددها على عشرين ألفًا، فبينما هو يقوم بعرضها وتنظيمها فاتته صلاة العصر نسيانًا لا عمدًا،(فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) [ص:32]، فلما علم أن الصلاة قد فاتته من أجل هذه الخيول قال : لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي، ثم أمر بها فعقرت فضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف، (رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[ص:33]، فلما علم الله سبحانه من عبده سليمان أنه ذبح هذه الخيول من أجله سبحانه وخوفًا من عذابه ومحبة وإجلالا له، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غُدُوُّها شهر، ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل، وصدق رسول الله –ﷺ– حين قال : «إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرًا منه» رواه أحمد والبيهقي وهو حديث صحيح .

قال ابن القيم رحمه الله:" وقولهم من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه: حق، والعوض أنواع مختلفة؛ وأجلّ ما يعوض به: الأنس بالله ومحبته، وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى".

ومن أمثلة العوض في الدنيا: ولما ترك المهاجرون ديارهم لله، وأوطانهم التي هي أحب شيء إليهم: أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا، وملكهم شرق الأرض وغربها، وكذلك الشهيد عندما ترك الدنيا وقدم

روحه وجسده لله عوضوهم عن أجسامهم أجسام طيور خضر تحمل أرواحهم تسرح بهم في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.... والأمثلة كثيرة على ذلك.

وهذا التعويض لا يلزم أن يكون بشيء محسوس من مال أو نحوه، بل قد يكون ذلك بأن يرزق الله تعالى عبده درجة عالية من الإيمان واليقين والرضى بما يقدره الله تعالى، كما قيل لبعض الزهاد وقد رئي في هيئة رثة: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، وأنت تركت الدنيا فماذا عوضك الله! فقال: الرضى بما أنا فيه "صفوة الصفوة"، وقد يكون هذا التعويض في الآخرة، وثواب الآخرة مهما قل، فهو أعظم من الدنيا كلها مهما عظمت، "ذَرَّةٌ مِنَ الآخرة خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"السندي".

وصَفَ اللهُ تعالى الرِّيحَ المذكورةَ هنا في سورةِ (الأنبياء) بأنَّها عاصِفةٌ، أي: شَديدةُ الهُبوبِ، ووصَفَها في سورةِ (ص) بأنَّها تَجري بأمرِه رُخاءً، والعاصِفةُ غَيرُ التي تجري رُخاءً، فكيف يُجمَعُ بينهما؟

قال ابن عاشور: أنَّها عاصِفةٌ في بَعضِ الأوقاتِ، ولَيِّنةٌ رُخاءٌ في بَعضِها؛ بحَسَبِ الحاجةِ، كأنْ تَعصِفَ ويشتَدَّ هُبوبُها في أوَّلِ الأمرِ، حتى تَرفَعَ البِساطَ الذي عليه سُلَيمانُ وجُنودُه، فإذا ارتفَعَ سارت به رُخاءً حيث أصاب، أو يكونَ ذلك باختِلافِ الأحوالِ؛ فإذا أراد سُلَيمانُ عليه السَّلامُ الإسراعَ في السَّيرِ سارت عاصِفةً، وإذا أراد اللِّينَ سارت رُخاءً، والمقامُ قَرينةٌ على أنَّ المرادَ المواتاةُ لإرادةِ سُلَيمانَ، كما دَلَّ عليه قَولُه تعالى: تَجْرِي بِأَمْرِهِ المشعِرُ باختِلافِ مَقصدِ سُلَيمانَ عليه السَّلامُ منها.

(تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) أي: تجري الريحُ بأمرِ سُلَيمانَ طائِعةً له، فتعودُ إلى الأرضِ التي بارك اللهُ فيها. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (والمرادُ بأنه بارك فيها: أنَّه أكثَرَ فيها البَرَكةَ والخَيرَ بالخِصبِ والأشجارِ والثِّمارِ والمياه، كما عليه جُمهورُ العُلَماءِ. وقال بعضُ العلماء: المرادُ بأنَّه بارك فيها أنَّه بعث الأنبياءَ منها. وقيل غيرُ ذلك. والعِلمُ عند الله تعالى).

قال الشنقيطي في قوله تعالى: هنا: تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وقال في سورةِ (ص): تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ [ص: 36]، والسُّؤالُ هو أنَّه هنا في سورةِ (الأنبياء) خَصَّ جَرْيَها به بكَونِه إلى الأرضِ التي بارك فيها للعالَمينَ، وفي سورةِ (ص) قال: تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ [ص: 36]، وقَولُه: حَيْثُ أَصَابَ يدُلُّ على التَّعميمِ في الأمكِنةِ التي يُريدُ الذَّهابَ إليها على الرِّيحِ؟ والجوابُ: أنَّ قَولَه: حَيْثُ أَصَابَ يدلُّ على أنَّها تجري بأمْرِه حَيثُ أراد مِن أقطارِ الأرضِ، وقَولَه: تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا؛ لأنَّ مَسْكَنَه فيها وهي الشَّامُ، فتَرُدُّه إلى الشَّامِ، وعليه فقَولُه: حَيْثُ أَصَابَ في حالةِ الذَّهابِ، وقولُه: إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا في حالةِ الإيابِ إلى محَلِّ السُّكنى، فانفَكَّت الجِهةُ؛ فزال الإشكالُ.

(وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) أي: وكُنَّا بجَميعِ الأشياءِ مِن أمرِ سُلَيمانَ وغَيرِه عالِمينَ، لا يخفَى علينا شَيءٌ، عالِمينَ بتَدبيرِه، ومِن ذلك أنَّنا وضَعْنا هذا التَّخصيصَ في المحَلِّ الذي يليقُ به مِن الأماكِنِ والأناسيِّ.موسوعة التفسير

قال ابن حيان: وتَسخيرِ ألْطَفِ الأجسامِ لسُليمانَ، وهو الرِّيحُ، والشَّياطينُ وهم من نارٍ، وكانوا يَغوصونَ في الماءِ، دليلٌ واضحٌ على باهِرِ قُدرتِه، وإظهارِ الضِّدِّ من الضِّدِّ، وإمكانِ إحياءِ العظْمِ الرَّميمِ، وجَعْلِ التُّرابِ الْيابِسِ حَيوانًا، فإذا أخبَرَ به الصَّادقُ وجَبَ قَبولُه واعتقادُ وُجودِه.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾﴿82﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:قال أبو حيان: لما ذَكَرَ تعالى تَسخيرَ الرِّيحِ له، وهي جِسْمٌ شَفَّافٌ لا يَعقِلُ، وهي لا تُدرَكُ بالبصَرِ؛ ذَكَرَ تَسخيرَ الشَّياطينِ له، وهم أجسامٌ لَطيفةٌ تَعقِلُ، والجامِعُ بينهما أيضًا سُرعةُ الانتقالِ.

(وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ) أي: وسَخَّرنا لسُلَيمانَ مِن الشَّياطينِ مَن يغوصونَ له في البَحرِ؛ لِيَستخرِجوا اللآلئَ والجواهِرَ وغيرَ ذلك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) [ص: 37].

(وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ) أي: ويعمَلُ الشَّياطينُ لِسُلَيمانَ أعمالًا أخرى غيرَ الغَوصِ؛ كعمَلِ المحاريبِ والتَّماثيلِ، والجِفانِ والقُدورِ الرَّاسياتِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)[سبأ: 12- 13].

(وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) أي: وكُنَّا للشَّياطينِ الذين يَعمَلونَ لسُلَيمانَ حافِظينَ، فلا يتمَرَّدونَ على طاعتِه، أو يَزيغونَ عن أمْرِه، أو يُبَدِّلونَ أو يُغَيِّرونَ، أو يُوجَدُ منهم فَسادٌ فيما هم مُسَخَّرونَ فيه، ولا يُؤذُونَ نبيَّ اللهِ سُلَيمانَ، ولا يتعَرَّضونَ بسُوءٍ لأحدٍ مِنَ النَّاسِ. موسوعة التفسير

قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) ... وَرِثَ منه النُّبوةَ والمُلكَ والحكمةَ، وليسَ المالَ، لقولِه -ﷺ-: (إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ؛ ما تَرَكنا صَدقةٌ) ... وقال سليمان (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) فكانَ يَتخاطبُ مع الطيورِ بلغاتِها، (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) أيْ: من كلِّ ما يَحتاجُ المُلْكُ إليه من العُلومِ والفُهومِ، ومنَ العُدَدِ والآلاتِ، والرِّياحِ المسخَّراتِ، والخُيولِ الصَّافناتِ، والجنودِ الصَّافاتِ.

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ)، ولكَ أن تتخيَّلَ هذا الجيشَ العظيمَ، صفوفٌ من البشرِ وصفوفٌ من وحوشِ الحيواناتِ كالأُسودِ والنُّمورِ تمشي على الأرضِ، وصفوفٌ من الطَّيرِ كالصُّقورِ والنُّسورِ تطيرُ في السَّماءِ، وصفوفٌ من عفاريتِ ومردةِ الجِنِّ بينَ السَّماءِ والأرضِ، كلُّها تَسيرُ في صفوفٍ منتظمةٍ مَهيبةٍ (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يُرَدُّ أولُهم على آخرِهم في ترتيبٍ عسكريٍّ عجيبٍ، قُوى أرضيَّةٌ، وقوى

جويَّةٌ، وقوى بحريَّةٌ ... قوى مرئيةٌ، وقوى خفيةٌ ... جُنودٌ شَرِسةٌ، حيواناتٌ مُفترسةٌ، وشياطينُ جبابرةٌ، وطيورٌ كاسرةٌ.

كانتْ الرِّيحُ السَّريعةُ تحملُ سليمانَ عليه السَّلامُ وجيوشَه إلى أيِّ مكانٍ يُريدُ، وكانتْ تقطعُ في اليومِ مسيرةُ شهرينِ، قالَ تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ) من طلوعِ الشَّمسِ إلى زوالِها، (وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) من زوالِ الشَّمسِ إلى غروبِها ... وفجَّرَ اللهُ تعالى له عيناً من نُحاسٍ (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ)، فهو يصنعُ منها ما يشاءُ من أسلحةٍ ومُعداتٍ وأواني وأثاثٍ ... وسخَّرَ اللهُ تعالى له الجِنَّ يعملونَ تحتَ أمرِه، (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ)، منهم من يبني كلَّ ما يحتاجُه من الأبنيةِ والحُصونِ والقِلاعِ، ومنهم من يغوصُ ليستخرجَ الدُّرَّ من أعماقِ البِحارِ، (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ)، ومن يُخالفُ الأمرَ يُعاقبُ أشدَّ العِقابِ (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) ... كلُ هذا لإعلاءِ كلمةِ اللهِ تعالى، فهل سمعتم بمُلْكٍ وجيشٍ وقوةٍ مثلَ هذا الجيشِ في البِلادِ؟

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [ص:35]

كانَ من عادةِ سليمانَ عليه السَّلامُ أن يتعاهدَ جيوشَه ويتفقَّدَ جُندَه اهتماماً منه بأمورِ رعاياهُ، (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)، ومعَ كَثرةِ جيشِ سليمانَ، وصِغرِ حجمِ الهُدهدِ إلا أنَّ دقَّةَ أمانةِ سليمانَ عليه السَّلامُ في السُّوالِ عن الجيشِ فَرداً فرداً، جعلته يفتقدُ الهُدهدَ، فسألَ عنه، ومن عدلِه أنَّه لم يُثبتْ له الغيابُ مُباشرةً، وإنما قالَ: (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)؟

وكانَ سليمانُ عليه السَّلامُ حازماً مع الجُندِ في اتِّباعِ الأنظمةِ، وإقامةِ العقوبةِ على من يتغيَّبُ بلا استئذانٍ، فقالَ: (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ)، تختلفُ العقوبةُ باختلافِ سَببِ الغيابِ، فمنها ما يستحقُ العذابُ الشَّديدُ، ومنها ما يستحقُ الذَّبحُ، ومع ذلكَ، تركَ مجالاً للعُذرِ فقالَ: (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ).

(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) لم يتأخرْ الهُدهدُ في العودةِ إلى الجيشِ لأنَّه يعلمُ بحزمِ سليمانَ عليه السَّلامُ، ولكنَّ السببَ في غيابِه كانَ عظيماً كبيراً، (فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)، سُبحانَ اللهِ، ما كانَ لهدهدٍ ضعيفٍ صغيرٍ أن يُخاطبَ نبياً من الأنبياءِ، مَلِكاً من الملوكِ، قائداً من القادةِ، بهذا الأسلوبِ، لولا يقينِه بعدلِ وإنصافِ سليمانَ، وأنَّ الأمرَ الذي جاءَ به، هو من الأهميةِ بالنسبةِ إليه بمكانٍ، وهذه ليستْ كما يزعمونَ حُريَّةَ الكلمةِ بأن يقولُ من شاءَ ما شاءَ، بل صِدقُ الكلمةِ والنُّصحُ للقادةِ، وقالَ: (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ).

فما هو هذا الخبرُ العظيمُ الصَّادقُ؟ ... وما هو ذلكَ النبأُ اليقينُ؟ ... الذي جعلَ الهُدهدَ يغيبُ بلا استئذانٍ، ثُمَّ يتكلمُ أمامَ سليمانَ بكلِّ ثِقةٍ واطمئنانٍ ... قالَ: (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)، ولم يقلْ: مَلكةً، لأنَّ الأمرَ العجيبَ أن تكونَ المرأةُ في منصبِ القيادةِ

العامةِ الذي تَحتاجُ فيه إلى الاختلاطِ بالرِّجالِ، وقد قالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً)، وليسَ في هذا احتقارٌ للمرأةِ وطاقاتِها، بل فيه التَّقديرُ والعدلُ لها بعدمِ تكليفِها ما لا يُطاقُ، ودرءٌ للفتنةِ المعلومةِ.

والأمرُ الأعظمُ والأخطرُ، (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) ... اللهُ أكبرُ ... الهدهدُ ... داعيةٌ للتَّوحيدِ.

فهل علمتم الآنَ، ما الذي جعلَ الهدهدُ يخرجُ من الجيشِ بلا استئذانٍ ... ويعودُ بالنبأِ اليقينِ لُسيلمانَ؟ لقد كانتْ رُؤيةُ سليمانَ عليه السَّلامُ للهدهدِ واضحةً جداً، وهو الدَّعوةُ إلى توحيدِ اللهِ تعالى في العبادةِ، وإعلاءُ كلمةِ اللهِ تعالى في الأرضِ، ولذلكَ لما سَمعَ مَنْ يُخالفُ هذه الرؤيةَ، ذهبَ وجاءَ بالخبرِ، لاتِّخاذِ الإجراءِ المناسبِ، وهذا واللهِ عُذرٌ مقبولٌ إن كانَ صحيحاً، ولذلكَ قالَ: (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، فخاطبَ سليمانُ عليه السَّلامُ ملكةَ سبأٍ بكلماتٍ معدوداتٍ، (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) إذاً، الهدفُ من هذا القوةِ هو الدَّعوةِ لتوحيدِ اللهِ تعالى ونبذِ عبادةِ ما سِواهُ.

ولذلكَ ماذا فعلَ سليمانُ عليه السَّلامُ لما حاولتْ ملكةُ سبأٍ تغييرَ موقفِه بإرسالِ الهدايا؟، (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ).

لم يعلموا أن عقيدةَ المؤمنِ الصَّافيةَ وأهدافَه الصَّادقةَ لا يُمكنُ شراءُها بهديةٍ مهما كانَ ثمنُها ... ولذلكَ أرادَ سليمانُ عليه السَّلامُ أن يُريَها وقومَها شيئاً من قوةِ الإسلامِ، (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ) ... فأيُّ تقنيةٍ في العالمِ تستطيعُ نقلَ عَرشٍ عظيمٍ محاطٌ بالحراسةِ من اليمنِ إلى فلسطينَ في مقدارِ طَرْفةِ العينِ؟، فماذا قالَ: (قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ).

(فَلَمَّا جَاءَتْ) ملكةُ سبأٍ إلى الشَّامِ، أراها سليمانُ عليه السَّلامُ عرشَها، (قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ) فتعجَّبَتْ من وجودِه هنا وقد تركتْه في اليمنِ، (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ)، فقالَ سليمانُ (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا) علمَ الأمورِ الدُّنيويةِ النَّافعةِ، (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) محافظينَ على إيمانِنا وعقيدتِنا وهويَّتِنا الإسلاميةِ.

بل وأراها ما هو أعظمُ من ذلك ... بنى قصراً فوقَ البحرِ من زُجاجٍ، أرضيَّتُه وجُدرانُه وأعمدتُه وسقوفُه من زُجاجٍ، وجلسَ سليمانُ عليه السَّلامُ على كُرسيِّهِ في وسطِ القصرِ، كأنَّه يجلسُ فوقَ الماءِ ... (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ)، فماذا كانَ جوابُها لما رأتْ ما عندَ سليمانَ عليه السَّلامُ من عجائبِ التَّقنيةِ التي لا يمكنُ لأحدٍ أن يَصلَ إلى مثلِها؟، (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

هل رأيتُم كيفَ أن نبياً من الأنبياءِ وصلَ إلى قمةِ الحضارةِ والتَّطورِ والتَّقدمِ والازدهارِ، وبلغَ من التَّقنيةِ والتكنولوجيا والاختراعاتِ ذروتَها، مع تمسُّكِه بالإسلامِ عقيدةً وعملاً وقولاً وأخلاقاً، وصدقَ اللهُ تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ).

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾﴿83﴾

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- أيوبَ حين نادى ربَّه بأنِّي أصابني الضَّرَرُ والبلاءُ، وأنت أرحَمُ من يَرحَمُ، فارحَمْني بكَشفِ ضُرِّي. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [ص: 41].

وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أشَدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثمَّ الصالحونَ، ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبتلى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِه، فإنْ كان في دِينِه صَلابةٌ زيدَ في بلائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ خُفِّفَ عنه، وما يزالُ البلاءُ بالعَبدِ حتى يمشيَ على ظَهرِ الأرضِ ليس عليه خَطيئةٌ)).

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾﴿84﴾

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ) أي: فاستجَبْنا دُعاءَ أيوبَ، فأزَلْنا ما حلَّ به مِن ضَرَرٍ وبَلاءٍ. موسوعة التفسير

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ أيوبَ نبيَّ اللهِ كان في بلائِه ثمانيَ عَشْرةَ سَنةً، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلَّا رَجُلَينِ مِن إخوانِه كانا مِن أخَصِّ إخوانِه، كانا يَغدُوانِ إليه، ويَرُوحانِ إليه، فقال أحدُهما لصاحِبِه: أتعلَمُ، واللهِ لقد أذنَبَ أيوبُ ذنبًا ما أذنَبَه أحَدٌ! قال صاحِبُه: وما ذاك؟ قال: منذُ ثمانيَ عَشرةَ سَنةً لم يرحَمْه اللهُ فيكشِفَ عنه! فلمَّا راحا إليه لم يصبِرِ الرجُلُ حتى ذكَرَ ذلك له، فقال أيوبُ: لا أدري ما يقولُ، غيرَ أنَّ الله يعلَمُ أنِّي كُنتُ أمُرُّ على الرجُلَينِ يتنازَعانِ فيَذكُرانِ اللهَ، فأرجِعُ إلى بيتي فأكَفِّرُ عنهما؛ كراهيةَ أن يُذكَرَ اللهُ إلَّا في حَقٍّ! قال: وكان يخرجُ إلى حاجتِه فإذا قضى حاجَتَه أمسكَتِ امرأتُه بيَدِه حتى يَبلُغَ، فلمَّا كان ذاتَ يومٍ أبطأ عليها، وأوحيَ إلى أيوبَ في مكانِه أن: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) [ص: 42]، فاستبطأَتْه فلَقِيَتْه ينتَظِرُ، وأقبل عليها قد أذهَبَ اللهُ ما به من البلاءِ، وهو على أحسَنِ ما كان، فلمَّا رأَتْه قالت: أيْ بارَكَ اللهُ فيك، هل رأيتَ

نبيَّ اللهِ هذا المبتَلى؟ ووالله على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبَهَ به منك إذ كان صَحيحًا! قال: فإنِّي أنا هو! وكان له أندرانِ (الموضِعُ الذي يُجمَعُ فيه الطَّعامُ): أندَرٌ للقَمحِ، وأندَرٌ للشَّعيرِ، فبَعَث اللهُ سحابتَينِ، فلمَّا كانت إحداهما على أندَرِ القَمحِ أفرَغَت فيه الذَّهَبَ حتى فاض، وأفرَغَت الأخرى على أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ حتى فاض))[السلسة الصحيحة].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((بينا أيوبُ يغتَسِلُ عُريانًا، فخَرَّ عليه جرادٌ مِن ذَهَبٍ، فجعل أيوبُ يحتَثي في ثَوبِه، فناداه رَبُّه: يا أيوبُ، ألم أكُنْ أغنَيتُك عمَّا ترى؟ قال: بلى وعِزَّتِك، ولكِنْ لا غِنى بي عن بركَتِك)) [رواه البخاري]

(أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

قال ابن القيم: ولم يكُنْ قَولُ أيوبَ: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) جَزَعًا؛ لأنَّ الله تعالى قال: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) [ص: 44]، بل كان ذلك دُعاءً منه، والجَزَعُ في الشكوى إلى الخَلقِ لا إلى اللهِ تعالى، والدُّعاءُ لا يُنافي الرِّضا، ويَعقوبُ عليه السَّلامُ وعَدَ بالصَّبرِ الجَميلِ، فقال (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) [يوسف: 83]، والنبيُّ إذا وعَدَ لا يُخلِفُ، ثمَّ قال: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) [يوسف: 86]؛ فالشَّكوى إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ لا تُنافي الصَّبرَ، وإنَّما ينافي الصَّبرَ شَكوى اللهِ. [مدارج السالكين]

قال ابن القيم: جَمَعَ أيوبُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في هذا الدُّعاءِ بينَ: حقيقةِ التَّوحيدِ، وإظهارِ الفَقرِ والفاقةِ إلى رَبِّه، ووجودِ طَعْمِ المحبةِ في المتَمَلِّقِ له، والإقرارِ له بصِفةِ الرَّحمةِ، وأنَّه أرحَمُ الرَّاحمينَ، والتوسُّلِ إليه بصفاتِه سُبحانَه، وشِدَّةِ حاجتِه، وهو فَقرُه، ومتى وَجَدَ المبتَلى هذا كُشِفَ عنه بَلواه.[الفوائد]

(وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أي: وآتَينا أيوبَ أهلَه الذين فقَدَهم، ورَزَقْناه معهم آخرينَ مِثلَ عَدَدِهم زيادةً على ذلك. موسوعة التفسير

قال ابنِ عبَّاسٍ: كانت امرأتُه ولَدَت له سبعةَ بنينَ وسَبْعَ بناتٍ، فنُشِروا له، ووَلَدت له امرأتُه سبعةَ بنين وسبعَ بنات.

(رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) أي: ردَدْنا لأيوبَ أهلَه ومِثلَهم معهم؛ رحمةً منَّا به. موسوعة التفسير

(وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) أي: وتذكيرًا للذين يَعبُدونَ اللهَ؛ لِيَعتبِروا بقصةِ أيوبَ، ويَصبِروا كما صبَرَ. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (قوله: وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ يقولُ: وتذكِرةً للعابدينَ رَبَّهم فعَلْنا ذلك به؛ لِيَعتَبِروا به ويعلَموا أنَّ الله قد يبتلي أولياءَه ومَن أحَبَّ مِن عبادِه في الدُّنيا بضُروبٍ مِنَ البلاءِ في نَفسِه وأهلِه ومالِه، مِن غَيرِ هوانٍ به عليه، ولكِنْ اختبارًا منه له؛ لِيَبلُغَ بصَبرِه عليه واحتِسابِه إيَّاه وحُسنِ يَقينِه، مَنزِلَتَه التي أعَدَّها له تبارك وتعالى مِنَ الكرامةِ عندَه).

قال-ﷺ-: "إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغهَا بعملهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ أو في مالهِ أو في ولدِهِ ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى" صحيح أبي داود

رحمة الله بعبده المؤمن أوسع مما يظن، وبره به أرحم مما يشعر، ولطفه به في السراء والضراء أعظم مما يحس به، فهو يجعل في المكروه خيرًا كثيرًا، (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) [النساء: من الآية 19]، ويجعل من فترة البلاء وإن شعر الإنسان بطولها سببًا للرفعة والعطاء والعافية.

كان أيوبُ -عليه السلام- غنيًّا يتقلَّب في نِعَمِ اللهِ -تعالى-، وكان شاكراً لِنِعَمِ الله، عارفاً حقَّ ربه، ولم تَفتِنْه الدنيا؛ ولِحِكْمَةٍ أرداها اللهُ -تعالى- نزل به البلاءُ؛ فذهب ماله، ومات أولاده، وانصرف عنه مَنْ حوله، ولم يبق معه إلاَّ زوجه، واثنان من كِرامِ أصحابه؛ يَغْدوان عليه ويروحان، فيأنس بهما.

وامتد به البلاءُ فطال جسدَه، فأصابه الضُّرُّ والنَّصَبُ والإعياءُ؛ حتى لا يستطيع الحركة إلاَّ بمعونة زوجه، وعاش أيوبُ -عليه السلام- صابراً على البلاء، حامداً لله، فكان مُطيعاً لله -تعالى- في حالتي الرخاء والبلاء.

ومُجملُ قصةِ أيوبَ جاءت في قوله -تعالى-: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)[الأنبياء: 83- 84]؛ فالله -تعالى- ذَكَرَ أيوبَ في مقام الثناء عليه حين ابتلاه ببلاء شديد؛ وتقرَّح قروحاً عظيمة، ومَكَثَ مدة طويلة، واشتد به البلاء، وذهب ماله، فوجده صابراً راضياً عنه.

وذات يومٍ نادى أيوبُ ربَّه: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)؛ فتوسَّل إلى الله بالإخبار عن حاله، وأنه بلغ الضُّرُّ منه كلَّ مبلغ، فاستجاب الله له برحمته الواسعة، وقال له: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)[ص: 42]؛ فركض الأرضَ برجله فخرجت عينُ ماءٍ باردة، فاغتسلَ منها وشَرِبَ؛ (مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ) غسل ظاهر بدنه: (وَشَرَابٌ) شرب منه فزال مرضه الباطن، زال الداء، زال الألم الظاهر والباطن، وردَّ الله عليه أهلَه ومالَه (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ)؛ بأنْ مَنَحَه الله العافيةَ من الأهل والمال شيئا كثيراً، وجعله (ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)؛ أي: عِبْرةً للعابدين، الذين ينتفعون بالعِبَر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر؛ ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[ص: 44]، والعبودية هي أعلى المقامات التي يتشرَّف الإنسانُ بالوصول إليها؛ فإنَّ أيوب -عليه السلام- شَكَرَ نِعمةَ الله عليه في السراء، وصَبَرَ على قضاء الله وقدره في الضراء؛ ولذلك أثنى الله عليه نِعْمَ الْعَبْدُ فوصفه بالعبودية.

وكان أمر قد حصل بينه وبين زوجته، فحلف أن يضربها، فأمره الله -عز وجل- أن يأخذ ضغثاً من الحشيش، أو من الأشجار عدده مائة، وأن يضربها ضربة واحدة، حتى لا يحنث؛ لأنه حلف أن يضربها مائة ضربة، فقال تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) [ص: 44].

كثير من الناس إذا نزل به البلاءُ اشتكى اللهَ -تعالى- إلى الخلق، وهذا دليلٌ على ضَعف في الإيمان، وفسادٍ في المعتقد، وربما سَخِطوا على ربهم، واعترضوا على حُكمه، وهذا الاعتراض فيه تطاول وسوءُ أدبٍ مع الله -تعالى- وسوءُ ظنٍّ بالله -تعالى-.

قال ابنُ القيم –رحمه الله–: "وأنتَ تُشاهِدُ كثيراً من الناس إذا أصابه نوع من البلاء؛ يقول: يا ربي! ما كان ذنبي حتى فعلتَ بي هذا؟ وقال لي غيرُ واحدٍ: إذا تبتُ إليه، وأنبتُ وعَمِلتُ صالحاً؛ ضيَّق عليَّ رِزقي، ونَكَّد عليَّ مَعيشتي، وإذا رجعتُ إلى معصيتِه، وأعطيتُ نفسي مُرادها؛ جاءني الرِّزق والعون ونحو هذا، فقلتُ لبعضهم: هذا امتحانٌ منه؛ لِيَرَى صِدْقَك وصبرَك، هل أنت صادق في مجيئك إليه، وإقبالك عليه، فتصْبِر على بلائه؛ فتكون لك العاقبة؟ أم أنت كاذِبٌ؛ فترجع على عقبك؟".

الصبر على البلاء من أخلاق الأنبياء والصالحين، وعاقِبتُه حَسَنة، وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسعَ من الصبر، وأنَّ الأنبياء هم أشد الناس ابتلاءً وصبراً على البلاء؛ ولذا أصبح أيوب –عليه السلام– أُسوةً حسنةً لمنْ ابتُلي بأنواع البلاء، قال ابن كثير –رحمه الله–: "مَنْ ابْتُلِيَ في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أُسوةٌ بنبيِّ الله أيوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصَبَر واحتسَبَ، حتى فرَّج اللهُ عنه".

ومَنْ امتُحِنَ في الدنيا بمحنة، فتلقَّاها بجميل الصبر، وجزيل الحمد؛ رُجِيَ له كشفها عنه في الحياة الدنيا، مع حُسن الجزاء في الآخرة.

إنَّ الرضا بقدر الله –تعالى– والتسليم الكامل بذلك يُنْزِلُ السكينةَ في قلب المؤمن، ويزيده طمأنينة، وأمناً وإيماناً، والصبر على المكاره يُزيل من النفوس الهمَّ والغمَّ؛ فيعيش المؤمنُ في غاية السعادة، واللهُ –تعالى– يجعل لأوليائه المتقين فَرَجاً ومَخْرجاً.

وأمَّا المتضجِّر بقضاء الله؛ فإنه يعيش حياة البؤس والشقاء، وكذا التحسر على ما فات لا ينفع شيئاً، وإنما الذي ينفع هو التوجه إلى الله بالتَّضرُّع؛ كما فعل أيوب –عليه السلام–.

والتفريق بين الابتلاء والعقوبة يحتاج إلى بصيرةٍ في الدِّين، ومعرفةٍ بالسُّنن وطبيعتها، ودراسةٍ واعية لأحوال الناس، ومقدار صلاحهم وفسادهم، وقُربهم وبُعدهم من دينهم.

فليس كل ابتلاء مرجعه وسببه الذنوب والمعاصي، فلا ينبغي أن نُسِيءَ الظنَّ بمن حلَّت بهم المصائب، وقد يسيءُ الظنَّ بربه إنْ كانت هذه المصائب من نصيبه!.

ومن العلامات التي يُفرَّق بها بين الابتلاء والعقوبة: أنَّ الابتلاء يقع مع الإيمان والاستقامة على منهج الله، واشتدادُ الابتلاء في هذه الحال دليل على قوة الإيمان؛ ولذلك فإنَّ الأنبياء هم أشد الناس بلاءً، ثم الأمثل فالأمثل، وأما العقوبة فتقع بسبب الذنوب والمعاصي، والانحراف عن المنهج الصحيح، وكلما زادت الذنوب والمعاصي، وكَبُر حجم الانحراف؛ اشتدَّتْ العقوبة.

والابتلاءُ علامةٌ على حبِّ الله للعبد ورضاه عنه، بينما العقوبة إشارةٌ إلى غضب الله –سبحانه–، وعدم رضاه عن العبد.

وتعجيل العقوبة في الدنيا خير من تأخيرها؛ لقول النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ، حَتَّى يُوَفَّى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(حسن رواه الترمذي).

قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ " رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾﴿85﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى صبرَ أيوبَ عليه السَّلامُ وانقطاعَه إليه؛ أتبَعَه بذِكرِ هؤلاء؛ فإنَّهم كانوا أيضًا مِن الصَّابرينَ على الشَّدائِدِ والمِحَنِ والعبادةِ.

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ) أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ، وإدريسَ، وذا الكِفْلِ. موسوعة التفسير

(كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) أي: كلٌّ منهم مِن الصَّابرينَ على الابتلاءاتِ، وعلى فِعلِ الطَّاعاتِ، واجتنابِ السَّيِّئاتِ. موسوعة التفسير

الصبر: هو حبس النفس ومنعها عمّا تميل إليه بطبيعتها ... يعني نجاهد أنفسنا ونمنعها عما تميل له بالفطرة ارضاءاً لله ... نجهاد أنفسنا لتقويمها والوصول إلى مرضاة الله وهذا من أعظم أنواع الجهاد...

والشخص لا يُذكر بـ الصبر التام غير عند تحقيقه لـ أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

وإن مما يسلي الإنسان في مصائبه بنفسه أو بماله أو بعزيز عليه أن يتذكر قوافل الصالحين من أنبياء الله ورسله وأصحابهم وأتباعهم ممن صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله وصبروا على أقدار الله، فجزاهم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا، وأعطاهم خيرا كثيرا ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ.

قال عمر -رضي الله عنه-: "وجدنا خير عيشنا بالصبر".

يقول الله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) [مريم: 54-55]

فلنستخلص من قصص الأنبياء الدروس، ولنستلهم منها العبر، ولنتفكر في أمرهم، ونقتدي بأفعالهم وأقوالهم، فالعاقل من وعظ بغيره، قصة الذبيح، أما عن نسبه فهو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام، ،وهو ابن هاجر المصرية التي وهبتها سارة زوجة إبراهيم إلى زوجها إبراهيم، وهو جدُّ الرسول سيدنا محمد -ﷺ- إذ إنّ الرسول يعودُ نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم. وقد بشر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام قال الله تبارك وتعالى: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)الصافات، وقد رزق به وله من العمر سبع وثمانون سنة، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس (ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ(أي أم إسماعيل هاجر) ، وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهْيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ ، وَ وَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ

وَلاَ شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ آللَّهُ الَّذِى أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ إِذًا لاَ يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ،ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) حَتَّى بَلَغَ (يَشْكُرُونَ)، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى – أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ – فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَهَبَطَتْ مِنَ ، الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ ، حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- « فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا » . – فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ، عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ – أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ – حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ...

وحلَّق الطيرُ فوق الماء، وحوَّم حول الرَّواء، وصفَّق بجناحَيْه في السماء، فرأَتْه رُفقةٌ من جُرهُم مُقبلين من طريق كَداء، فأقبَلوا يستأذِنونها في النزول بجِوارِها والإقامة في ناحيتها، فألفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحبُّ جِنسَها، وأذِنَت لهم حتى أضحَوا أُنسَها، وتوافَدَت أبياتٌ منهم عليها، وهوَت أفئدةٌ من الناس إليها، ونشأَ إسماعيلُ بين وِلدانهم، وتكلَّم بلسانِهم، ونطقَ بعربيَّتهم، وأنفَسهم فقرَّبُوه، وأعجبَهم فزوَّجوه، ثم فُجِع إسماعيل -عليه السلام- بموت أمه الصابِرة، وانتقال هاجر إلى الدار الآخرة، وكان إبراهيم يفِدُ إلى ابنه لِمامًا، ويتفقَّدُه أحيانًا، فجاء يومًا وإسماعيل يبرِي نَبلاً، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنعُ الوالدُ مع ولده عند التلاقي بعد طول الفِراق، ثم أخبر إبراهيمُ ابنَه بما أمره ربُّه؛ من بناءِ البيت على أساسٍ من التوحيد والحنيفية ونبذِ الشرك والوثنيَّة، فرفعَ إبراهيمُ القواعد من البيت، وإسماعيل بين عينيه، وطوعُ يديه، ورَهنُ كفَّيه، يأتي بالحِجارة، ويُعينُ أباه في البناء والعِمارة، فلما ارتفعَ البناء جاء له بحجرٍ ليقوم عليه، فقام إبراهيمُ على حجر المقام حافِيَ القدَمَيْن يبني وإسماعيلُ يُناوِلُه الحِجارة، وهما يقولان: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: 127].

ورأى إبراهيمُ في منامه رُؤيا -ورُؤيا الأنبياء حقٌّ-، ودخل إسماعيلُ ليقُصَّ عليه أبوه رُؤياه، ويُخبِره بمِحنته وبَلواه: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) [الصافات: 102]، فيقول إسماعيلُ -طائعًا لربِّه ومُلبِّيًا، صابِرًا ومُؤدِّيًا، مُنقادًا وراضِيًا-: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الصافات: 102]،(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) طاوَعَه الابنُ الصالحُ بالتمكين، وكان لأبيه خيرَ مُعين (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)، فلما أمرَّ على حلقه بالسكِّين ناداه أرحمُ الراحمين: (يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ

الْمُبِينُ) [الصافات: 104-106]، وفَداهُ ربُّه بذِبحٍ عظيم، ليُعلَمَ أن البلاء ليس للتعذيب، ولكنه للتمحيصِ والتهذيب.

فحينَ تعلَّقَت شُعبةٌ من قلب إبراهيم بمحبة إسماعيل، وقد اتخذَ الله إبراهيم خليلاً، أُمِر بذبح المحبوب، فلما شرعَ في ذبحِه دلَّ على أن محبةَ الله أعظمُ عنده من محبة ولده نفسه، فخلَصَت الخُلَّةُ من شوائب المشارَكة، ولم يبقَ في الذبحِ مصلحة.

فأين من هامَ قلبُه، وتشتَّتَت نفسُه في العِشقِ والوَلَه، والسَّفَه، والهوى، حبٌّ لغير الله، وخُلَّةٌ لم تُؤسَّس على تقواه.

يُؤمَرُ الخليلُ بذبحِ ولده، فيُباشِرُ الذبحَ بيده، وتستكبِرُ نفوسٌ على الشرع الحكيم، وتستنكِفُ أن تلِينَ وتستكينُ لأحكام الدين.

ومضَت سنةُ الأضاحِي عَلَمًا للملَّة الإبراهيمية، وسنةً في الشريعة المحمَّدية، تُذكِّرُ بالتضحية والفداء، والصدقِ والوفاء، والصبر والثبات عند المِحنة والبلاء، وحُسن الاستجابةِ لله في السرَّاء والضرَّاء.

مضَت قصةُ إبراهيم وهاجر وإسماعيل تُبينُ بأن الإسلام ليس بمحضِ التسمِّي والانتماء، ولا بمحضِ الانتِساب والادِّعاء، ولكنه إيمانٌ راسخ، يقينٌ صادق، علامتُه الخُضوع والانقياد، وهذا ما تعلمناه من سورة الأنبياء.

قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا *وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) [مريم:56].

أثنى الله -عز وجل- على إدريس -عليه السلام- في هذه الآية الكريمة ووصفه بالنبوة والصديقية، أي بليغ التصديق بما يجب لله من الوحدانية والتنزيه.

ويذكر ابن كثير بأنه: خنوخ، وهو في عمود نسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما ذكره غير واحد من علماء النسب، وكان أول نبي أعطاه الله -عز وجل- النبوة بعد آدم وابنه شيت -عليهما السلام-، وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة وثماني سنوات.

قوله تعالى: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو كما ثبت في الصحيحين من حديث الإسراء أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرّ به وهو في السماء الرابعة، وتفسر بأنها شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى.

وقال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن إلياس هو إدريس الذي جاء ذكره في سورة الصافات: (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

وإدريس -عليه السلام- أثنى الله عليه مع من أثنى عليهم من الأنبياء والمرسلين بالنبوة والهداية والاصطفاء والاختيار، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [مريم:58].

وكان إدريس عليه السلام يقوم بدعوة الناس إلى أن يعبدوا الله وكان يدعو أيضاً مكارم الأخلاق، وكانت له مواعظ وآداب؛ فقد دعا إلى دين الله، وإلى عبادةُ الله وإبعاد النفوسِ من العذاب في الآخرة، وذلك يكون بالعمل الصالح في الدنيا وحض على الزهد في هذه الدنيا الفانية الزائلة.

لقد روى ابن جرير عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا، وأنا حاضر، فقال لهُ: ما قول الله تعالى لإدريس: ''وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا''، فقال كعب: أمّا إدريس؛ فإن الله تعالى أوحى إليه أنّي أرفعُ لك كل يومٍ مثل جميع عمل بني آدم، لعلهُ من أهل زمانهِ، فأحبَ أن يزداد عملًا، فأتاه خليلٌ له من الملائكةِ فقال له: إنّ الله أوحى إليّ كذا، وكذا، فكلم ملك الموت حتى أزدادَ عملًا، فحملهُ بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة، تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: فالعجب بعثت، وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلتُ أقول: كيف أقبض روحهُ في السماء الرابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك. فذلك قول الله عز وجل: ''وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا''.

وقال العلماء أن ذلك لم يثبت في رواية صحيحة، وقد ورد فيه خبر نسبه بعض أهل العلم إلى الإسرائيليات، جاء في فتح الباري لابن حجر: ... وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية. اسلام ويب

(وَذَا الْكِفْلِ) أحد أنبياء الله، ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين، فقد مدحه الله –عز وجل– وأثنى عليه لصبره وصلاحه، وصدقه، وأمانته وتحمله لكثير من المصاعب والآلام في سبيل تبليغ دعوته إلى قومه، ولم يقصَّ الله –عز وجل– لنا قصته، ولم يحدد زمن دعوته، أو القوم الذين أرسل إليهم.

وأما ذو الكِفل، سمي بهذا الاسم إما لأنه تكفل بطاعة الله –عز وجل– أن يصوم نهاره وأن يقوم ليله، أو تكفل بحراسة وصيانة الأنبياء، أو أمر من الأمور، فالله أعلم بذلك، لكن هذا ما ذكره بعض المفسرين، قال تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ)[الأنبياء: 85-86]، وقال تعالى: (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ)[ص: 48].

واختلفَ المفسرونَ في كونِهِ نبيًّا أَمْ رجلًا صالحًا، فقالَ جمعٌ من علماءُ التفسير بأنَّ ذو الكفل هو نبيٌ من الأنبياءِ الذين استخْلَفهم الله في الأرضِ، قال ابن كثير: (وأمَّا ذو الكِفْلِ فالظَّاهرُ مِنَ السِّياقِ أنَّه ما قُرِنَ معَ الأَنبياءِ إلَّا وهو نَبِيٌّ).

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾﴿86﴾

(وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) أي: وأدخَلْنا إسماعيلَ وإدريسَ وذا الكفلِ في رَحمتِنا. موسوعة التفسير

(رَحْمَتِنَا) قال الواحدي: المرادُ بها: النبُوَّةُ والجَنَّةُ.

(إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) أي: أدخَلْناهم في رَحمَتِنا؛ لأنَّهم مِنَ الكامِلينَ في الصَّلاحِ، الجامِعينَ لخِصالِ الخَيرِ، المطِيعينَ لله. موسوعة التفسير

قال السمعاني: (الصلاحُ اسمٌ يجمعُ جميعَ خِصالِ الخيرِ).

مراجع:

1. سليمان عليه السلام والتقنية: هلال الهاجري.
2. فوائد وعبر من ابتلاء أيوب –عليه السلام–: محمود بن أحمد الدوسري.
3. قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: صلاح بن محمد البدير